حق الصانع والتاجر على الجمهور
وحق الجمهور على الصانع والتاجر

بقلم الأستاذ عبد الحميد عبد الغنى

أثبتت نظريات الاجتماع تؤيدها تجارب الشعوب أن القومية السياسية إنما تنهض على دعائم القومية الاقتصادية . فالمصرى الذى يبذل الان كل ما يسعه من التضحية الغالية ليدفع عن حرية وطنه أى أذى وليحمى كرامته من كل سوء حتى يبيت هذا الوطن فى رغد وأمن وسلام ، هذا المصرى ما يزال مطالبا بواجب آخر أيسر حملا وأسهل سبيلا و إن لم يكن أقل أثرا ولا أهون شانا ، إذ هو يحقق لشعبنا الناهض ما لا غنى عنه للشعوب المستقلة من القومية الاقتصادية . هذه القومية التى نهيب بالمصريين جميعا أن يأخذوا أنفسهم صادقين مخلصين متضافرين متعاونين بتهيئة أسبابها وتدعيم أركانها . وذلك بأن يولوا الإنتاج المصرى والمنتج المصرى كل التشجيع والمعاونة والتعضيد .

كل مصرى مكلف قبل وطنه وقبل كرامته أن يعضد الزارع المصرى فلا يأكل إلا مما تنتجه أرضه الخصبة ، وأن يعاون الصانع المصرى فيتخذ أكثر ملبسه وأثاثه مما تصنعه يداه الماهرتان ، وأن يشجع التاجر المصرى فيقبل عليه وينصرف إليه إلا إذا لم يجد عنده مالا غنى عنه من المطالب .

ولن يلقى أحد فى تأدية هذا الواجب مشقة ولا عسرا . فأرض مصر الخصيبة وفلاح مصر النشيط ينتجان كل ما نريده من ألوان الطعام الشهى المغذى . بل ينتجان — فضلا على هذا — ما نستطيع أن نصدره إلى أسواق الخارج حيث يقبلون عليه ويؤثرونه لوفرة ما فيه من المزايا . وكذلك الصناعة المصرية قد نمت وترعرعت فقامت المصانع الحديثة فى أرجاء مصر تمدنا بما نحتاج اليه من الأقمشة والطرابيش والأحذية ومن الأثاث والزجاج والسجاد وغيرها ، وأظهر الصانع المصرى من المهارة والكفاءة ما دل على أنه حفيد الصانع الاسلامى وسليل الصانع الفرعونى اللذين سحرا العالم الحديث بدقة ما صنعت يداهما . أما التاجر المصرى فأبرز صفاته هذه الفضيلة الحميدة التى يتخلق بها أبناء الشرق جميعا أعنى فضيلة القناعة التى تحمله على أن يكتفى بأيسر الربح وأبسط الفائدة بينما يدفع الطمع سواه الى ارهاق المشترى بأثمان لا مبرر لها .

ولذلك لا تكتفى وزارة الشؤون الاجتماعية بأن تدعو المصريين الى أن يقبلوا على المنتج المصرى بل هى تهيب بكل منهم أنه يؤدى واجب الدعوة الى تشجيع هذا المنتج قدر ما يستطيع، تهيب بالأب والأم أن يغرسا فى ابنهما بذور الوطنية الصحيحة التى تحمله منذ نشأته على إيثار الطعام المصرى وتفضيل اللباس المصرى . وتهيب بالشاب والفتاة أن يتجها بأملهما وصحبهما الى طريق القومية الصادقة بمعاملة التاجر الوطنى والصانع الوطنى .

وبذلك نمهد للفلاح الذى تقوم مصر كلها على منكبيه طريق اليسر والرخاء . وتهيىء للصناعة التى تعد مصدر الثروة والقوة فى هذا العصر أسباب النمو والارتقاء . وتمكن التاجر المصرى من أن يرقى بنفسه وينهض بمتجره الى المستوى الذى بلغه التاجر الأجنبى .

إن مصر التى ظلت منذ نشأة التاريخ تفتح بابها لتكرم وفادة كل ضيف وكل قاصد، وتمهد طريقها لتغذى نفسها بكل حضارة وكل ثقافة . لن تحيد عن هذه الخطة التى كانت سرا من أسرار بقائها على الدهر، صامدة لأحداثه، قوية على صروفه . فهى تقدر حق التقدير ما أداه نزلاؤها الكرام من الخدمات التى تشهد آثارها فى جميع مرافق البلاد، وهى تبذل كل ما فى وسعها لتقيم بينها وبين ضيوفها جميع أسباب التعاون الصادق والأخاء الوثيق . ولكنها ترى أن الوقت قد حان لأن يحمل المصريون بأنفسهم وفوق أكتافهم النصيب الأعظم من أعباء مصر القومية وأن يمسكوا بأيديهم مقاليد نهضتهم الصناعية والتجارية .

نعود الى الحديث عن واجب الأمة حيال انتاجها المحلى وصناعتها القومية، فنقول إن الواجب المفروض على المستهلك يقابله واجب مفروض على المنتج، فليس من الانصاف أن أدعو المنتج الى بذل التضحية إيثارا وتعضيدا للصانع أو التاجر المصرى إلا إذا وجدت هذا الصانع أو ذلك التاجر يبذل جهده فى إجادة انتاجه وإحسان معاملته وإرضاء الشارين .

ولهذا تتجه الى الصانع فندعوه الى أن يخلص لله فيما تصنع يداه وليكن رائده دائما الحديث الشريف " إن الله يحب إذا عمل أحدكم العمل أن يتقنه " ولا حرج عليه إن طلب زيادة فى الربح تضارع ما يبذله فى إجادة صناعته . وعليه أن يكون دقيقا فى مواعيده وفيا بها كل الوفاء فهذه أيام لا يتيسر للمرء فيها من الفراغ ما يضيعه فى التردد على الناس بغير جدوى، ولا حرج عليه إن طلب من عميله مدة طويلة تكفيه بدلا من أن يلجأ إلى الإخلاف والتسويف. كما إن عليه أن يسلك طريق الأمانة والصراحة ويبرئ نفسه عن التزييف والخداع فيبين وجه النقص فى عمله كما يظهر وجه الكمال . وليكن على يقين من أن هذه الصفات هى العدة التى يشق بها طريقه الى التوفيق والثراء .

ولتتجه الى التاجر لتقول له عن ثقة و يقين إن حسن السمعة وطيب الشهرة هما سبيله الى النجاح والتفوق فى أسواق التجارة . ولهذا ندعوه أولا الى أن يجعل فضيلة الأمانة رائده فى جميع المعاملات. فلا يغلو بالأسعار استغلالا لظروف طارئة وانتهازا لفرص عارضة ولا يبخس الناس حقوقهم فى الكيل والوزن ولا يزيف لهم بضاعته و يخفى ما يتلفها أو يفسدها . ذلك أن هذه الأمور إن درت عليه بعض الربح أياما أو شهورا فانها تصم اسمه بوصمة سيئة تنتهى به الى الخسارة والإخفاق . كذلك ننصح له أن يسلك فى معاملته طريق العرف والحسنى فالتجارة مساومة حرة لا اكراه فيها للبائع ولا للشارى ولكن قد تكون الكلمة الطيبة يجرى بها لسان التاجر والابتسامة الراحنية تشرق بها أساريره ، السر الذى يجذب اليه الشارين من كل جانب و يروج تجارته فى كل سوق . ومن الخير له أن يعرض تجارته و يبرز متجره فى صورة جميلة من النظافة والترتيب والتنسيق ففضلا عن أن ذلك يحفظ بضاعته مما يتسرب اليها من التلف والفساد ، فانه يستهوى اليه أفواج الجمهور الذى يغريه من متاجر الأجانب ما يبدو فيها من الرواء والأناقة والنظام .

هذه هى دعوتنا الصادقة الى كل من يساهم فى مرافق الانتاج المصرى فاذا استجاب لها فقد أدى ما يفرضه عليه الوطن تحقيقا لحريته وكرامته الاقتصادية .

و بهذه الدعوة نتجه الى كل فرد فى هذه الأمة الناهضة ليبذل ما يسعه من الجهد تشجيعا لانتاجنا المحلى . فاذا لباها نقد وفى نصيبه فى تشييد صرح قوميتنا الاقتصادية . و إنا لعلى يقين من أن كل مصرى يشعر بأن إرضاء ضميره و إعزاز كرامته و إبراز قوميته و إنهاض هذا الوطن العزيز — كل أولئك يدعوه إلى تشجيع إنتاجنا المحلى وتعضيد صناعتنا القومية . فهذا هو السبيل الوحيد إلى نشر اليسر والرخاء فى أرجاء البلاد و إلى فسح مجال العمل أمام جميع الأيدى العاملة و إلى رفع مستوى الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى مصر إلى مثل مستواها فى البلاد الراقية أى أن هذا هو السبيل الذى يجب أن تتخذه مصر فى سعيها إلى الحياة السعيدة والمجد المنشود .

عبد الحميد عبد الغنى

أسعد الناس

أسعد الناس ، سواء أكان ملكا أم صعلوكا ، هو الذى يجد السلام فى بيته .

جيته